

# حوار مع جميل حمداوي

أجرى الحوار الدكتور أحمد رزيق



بلا شك أن المواكب لحركة النشر والكتاب في الوطن العربي وفي المغرب يلمس لدى الدكتور جميل حمداوي حضورا وازنا في ساحة الإنتاج المعرفي، من خلال ما نشره من كتب وأبحاث غطت مجالات معرفية متنوعة؛ فنون الأدب، النقد الأدبي، الفلسفة، السينما، المسرح، الصورة، التربية والتعليم، الفقه، وغيرها من المجالات.. ولم يتقيد اهتمام الدكتور جميل حمداوي بالبحث في هذه المجالات ضمن الدائرة الوطنية فحسب، بل وسع مجال بحثه ليشمل أقطارا عربية أخرى مثل تونس والمملكة العربية السعودية وغيرهما.. أمام هذا الأفق الموسوعي المفتوح الذي اختار الدكتور جميل حمداوي أن يرتاده، وأن يشتغل من خلاله لم يكن أمامنا من خيار إلا أن نستهل معه حوارنا بالسؤال التالي:

**① ما الذي يغري الدكتور جميل حمداوي بالاشتغال ضمن رؤية موسوعية تهتم بمجالات معرفية متنوعة؟ وهل من سند إبستمولوجي أو غيره يقوم عليه هذا الاختيار؟**

فعلا، أشتغل ضمن رؤية موسوعية على غرار النهج الذي سار عليه رواد الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، أمثال: الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وغيرهم. ومن ثم، فالأدب الحقيقي هو الذي يأخذ من كل فن بطرف. وأكثر من هذا فالناقد أو الباحث الفذ والمتميز هو الذي يفتح على مجالات معرفية متعددة، كما يبدو ذلك جليا عند العلامة محمد عبد الجابري، أو عند الباحث المغربي الدكتور محمد مفتاح الذي يستعين، في دراسة النصوص والخطابات الأدبية، بالفيزياء، والبيولوجيا، والكيمياء، والرياضيات، والمنطق، والإعلاميات، والفلسفة، واللسانيات، والتداوليات، والموسيقا، وغيرها من العلوم.

ومن ثم، لا يمكن للناقد المعاصر أن يذهب بعيدا بتخصص معرفي واحد، في زمن تتراكم فيه المعلومات والمعارف والمعطيات والبيانات، وتتسع النصوص والخطابات رحابة، وتتعدد الأجناس والأنواع والفنون وتتشذر تنوعا وتتميطا وتصنيفا. وبالتالي، فمن الصعب أن يتكيف الناقد المتخصص مع هذه المستجدات المعرفية في كل حقل أو مجال معرفي وعلمي من منظور أحادي التخصص.

ويمكن أن نقبل التخصص، بشكل من الأشكال، في مجال الطب والتكنولوجيا والعلوم الدقيقة، ولكن لا يمكن قبولها في مجال الآداب والإنسانيات. فلا بد من الانفتاح على كل المعارف والحقول الثقافية لتعميق الإدراك النظري، وتوسيع التطبيق العملي، وأيضا من أجل إغناء النص الأدبي بمقاربات جديدة، بعد أن أصبحت المقاربات العروضية والنحوية والبلاغية قاصرة -الآن- في الإحاطة بالنص الأدبي.

ولا بد للناقد الموسوعي من جهاز إبستمولوجي متعدد لاستكناه عمق النصوص وتأويلها، وتنويع هذا المستند من نص إلى آخر. ولا يمكن الحديث عن ناقد متميز وناجح وفذ في غياب الفلسفة والمنطق من جهة، وغياب العلوم الإنسانية والتجريبية والدقيقة من جهة أخرى.

② يرى البعض أن الاشتغال ضمن الرؤية الموسوعية في زمن التخصصات الدقيقة، يمثل مدخلا من مداخل التبسيطية والسطحية، خاصة مع تنوع المجالات المعرفية التي كتب فيها الدكتور جميل حمداوي، فما الذي يجعل اختيارك يصمد أمام هذا النقد؟

صحيح أن الموسوعية، في كثير من الأحيان، تسقط صاحبها في السطحية والتبسيط، ولكن الباحث الذي يحترم نفسه يمكن أن يأتي بالجديد في ضوء هذه الموسوعية، فيمكن أن يستخدم الفلسفة والمنطق في تحليل النصوص، كما يظهر في كتابي (من علم المنطق إلى منطق التخيل). ويمكن الاستعانة بالفيزياء في مقاربة الظواهر النصية والأدبية، كما يبدو ذلك واضحا في كتابي (العوالم الممكنة بين النظرية والتطبيق) الذي طبقنا فيه المقاربة الكوسمولوجية. ولكن بشرط واحد هو أن يستوعب الباحث الموسوعي ما يقرؤه ويكتبه، ويأتي بالجديد من لحظة إلى أخرى. وقد يمر الباحث، طبعاً، في بداية مساره بالتعلم والتلمذة، فينتقل إلى التجريب، ثم ينتقل توالياً إلى الإبداع بعد ذلك.

③ يمثل الدكتور جميل حمداوي نموذج المثقف المؤمن إيماناً عميقاً بالتنوع في ظل الوحدة، فأنت مواكب للإبداع المشرقي والمغربي، ومتتبع للتعبيرات الثقافية الوطنية باللسانين العربي والأمازيغي.. فما

## سر هذا الإصرار القوي وما مسوغاته؟ وكيف يترجم الدكتور جميل هذا الإيمان العميق على مستوى ما يثري به المكتبة العربية والمشهد الثقافي عموماً؟

لا أحب الانغلاق في سياق ما هو محلي ووجهي ووطني، أريد دائماً الاشتغال ضمن رؤية موسوعية من جهة، ورؤية كونية من جهة أخرى. وقد وعدت الله أن أخدم ثقافتنا المحلية، والثقافة الجهوية، والثقافة الوطنية. دون أن أنسى خدمة أمتي والإنسانية جمعاء حسب إمكانياتي المتواضعة، مهما كانت كتاباتي بسيطة، أو ضعيفة، أو مستجدة.

وقد انطلقت من مبدأ أساسي هو العطاء، فالعطاء، ثم العطاء. ومن ثم، اخترت سياسة تقريب دراساتي وكتبي من التلاميذ والطلبة والمدرسين بغية إيصال رسالتي التنويرية، بأسلوب بيداغوجي بسيط وواضح وسهل، يعتمد على ثلاثية منهجية (المقدمة، والعرض، والخاتمة)، وطرح الأسئلة، واحترام منوال منهجي أكاديمي يتوحد في جميع دراساتي وأبحاثي وكتبي.

ومن ثم، فلا أحب التعمق المبهم، أو الغموض المتغلغل في الأشياء، أو التعقيد في كتاباتي؛ لأن هدفي هو مراعاة أفق انتظار قارئ المفضل، وتحقيق حاجياته المعرفية والوجدانية والذهنية والمنهجية. ومن ثم، لا أكتب للمتخصصين إلا نادراً، بل همي الوحيد هو تنوير الناشئة وفق رؤية بيداغوجية واضحة وهادفة وبناءة.

## ④ باعتبارك أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، كيف تقيم الوضع التعليمي بالمغرب وبالوطن العربي؟ وما مداخل إصلاح المنظومة التربوية المغربية خاصة؟

للتعليم المغربي إيجابيات وسلبيات. وإذا كانت الحسنات معروفة في تحقيق بعض المخرجات الإيجابية التي تتمثل في تكوين الناشئة المتعلمة، والحد من الأمية. فالسلبيات تتمثل في هيمنة النظري على حساب التطبيق والتجريب. ناهيك عن الفصل بين ما هو نظري وعملي. أضف إلى ذلك عدم اهتمام الدولة بقطاع التعليم على أساس أنه قاطرة للتنمية والتحديث والتصنيع. بل تعده عبئاً

ثقيلا يستنزف ميزانية الدولة ليس إلا. إذا، أهملته لتهمم بقطاعات أخرى ، كالقطاع العسكري، والانشغال الأمني، والاستثمار الصناعي.

ومن السلبيات الأخرى التي يعانيها التعليم المغربي تراجع جودة المؤسسات العمومية، وتفشي ظاهرة الهدر المدرسي، وغياب الكفاءة المهنية، وانعدام الضمير المهني، والاهتمام بالكم على حساب الكيف. ناهيك عن انتشار العنف في المؤسسات التربوية، وغياب التحفيز المادي والمعنوي، وعدم مسايرة المستجدات في مجال التكنولوجيا والإعلاميات والعلوم الإنسانية، وإخضاع التعليم لما هو سياسي وحزبي ونقابي...

ومن ثم، لا يمكن تحقيق النجاح والتميز التربويين إلا بتطبيق البيداغوجيا الإبداعية. فما المقصود - إذاً - بهذه البيداغوجيا؟

يقصد بالنظرية الإبداعية، في مجال البيداغوجيا، أن يكون المتعلم أو المتمدرس مبدعا قادرا على التأليف و الإنتاج و مواجهة الوضعيات الصعبة المعقدة، بما اكتسبه من تعلمات و خبرات معرفية و منهجية. ولا يفهم من البيداغوجيا الإبداعية تغيير المقررات المدرسية شكلا ومضمونا فقط، واستبدالها من حين لآخر، بل تعني تقديم التعلم والخبرات بطريقة إبداعية نشطة، توصل المدرس أو المتعلم معا إلى تحقيق الأهداف المرجوة. ويتحقق ذلك باقتراح مجموعة من المحتويات والأنشطة والطرائق الديدكتيكية الملائمة والمناسبة لنمو المعلم وتفتقه معرفيا ووجدانيا وحسيا-حركيا<sup>1</sup>. أي: بمساعدة المتعلم على إظهار قدراته الكفائية والنمائية، وتوظيف ملكاته توظيفا جيدا، وتفتيق مواهبه الواعية واللاواعية، والسماح له بإظهار مشاعره وأهوائه ورغباته وميوله الوجدانية بكل حرية وعفوية وتلقائية، ومساعدته على تحقيق التوازن النفسي والعضوي والجسدي. وهذا كله من أجل تحقيق النجاح المدرسي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- BANDURA A., Auto-efficacité. Le sentiment d'efficacité personnelle (P. Lecomte, trad.) (2<sup>e</sup> éd.), Bruxelles, De Boeck, 2007 (original publié en 1997).

<sup>2</sup>- Isabelle Puozzo, « Pédagogie de la créativité : de l'émotion à l'apprentissage », Éducation et socialisation [En ligne], 33 | 2013,

وتتجلى الإبداعية التربوية في الاختراع، و الاكتشاف، و تركيب ما هو آلي وتقني، و تطوير ما هو موجود و مستورد من الأشياء، و إخراجها في حلة جديدة، و بطريقة أكثر إتقانا و مهارة وجودة . و لا بد أن يكون ما هو مطور قائما على البساطة و المرونة و الفعالية التقنية و الإلكترونية وسهولة الاستعمال. ويرى عبد الكريم غريب أن البيداغوجيا الإبداعية هي "الأنشطة والعمليات المنظمة التي يقوم بها المتعلم لأجل ابتكار أفكار أو اكتشاف أشياء تتميز بتفردتها."<sup>3</sup>

ومن هنا، فالبيداغوجيا الإبداعية ثورة أو قطيعة تربوية ، أو بمثابة براديجم تربوي (un paradigme) جديد، يحدث قطيعة مع التربية الكلاسيكية، أو التربية التقليدية التي تقوم على الثبات، والتقليد، والمحاكاة، والاجترار، والمحافظة على القواعد. وبالتالي، فالإبداع هو تطوير البرديغيمات العلمية، والانزياح عما هو قديم وتقليدي. وتخضع التصورات والنظريات التربوية للتطور والتغير والقطائع الإبستمولوجية والثورات على غرار النظريات العلمية المفاجئة، ضمن ما يسمى بالبراديجيمات (Paradigmes)، أو النماذج العلمية .

ويعني هذا أن التربية، بصفة عامة، تتغير بتغير البراديجيمات والنماذج والأنساق البيداغوجية والديداكتيكية والعلمية والسيكواجتماعية نظرية وتطبيقا وممارسة ووظيفة. بمعنى أن التحول التربوي يتحقق بفعل تغير النظريات والنماذج والبرديغيمات العلمية التي تظهر من حين لآخر، كما يثبت ذلك توماس كون (T.Kuhn) في كتابه (بنية الثورات العلمية)<sup>4</sup>. أي: تتغير الأنساق التربوية بتغير البراديجيمات والنماذج والنظريات والمناهج والافتراضات

---

mis en ligne le 01 septembre 2013, consulté le 12 juin 2016. URL: <http://edso.revues.org/174>.

<sup>3</sup>- عبد الكريم غريب: المنهل التربوي، الجزء الثاني، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م، ص:722.

<sup>4</sup> -T.Kuhn : La structure des révolutions scientifiques, traduit par Laure Meyer, Flammarion, Paris, 1970.

## العلمية.

ومن ثم، تستند البيداغوجيا الإبداعية إلى الذكاءات المتعددة، وامتلاك الكفاءة المهارية، و التسلح بالقدرات الذاتية التعليمية في مواجهة أسئلة الواقع الموضوعي، بتشغيل ما يدرسه المتعلم في مقطع دراسي، ويستوعبه في السنة الدراسية، أو يكتسبه عبر امتداد الأسلاك الدراسية من أجل التكيف مع الواقع، و التأقلم معه إما محافظة، و إما تغييرا.

ويمكن الاستعانة بالسكولوجيا المعرفية لمساعدة المتعلم على إيجاد أفكار جديدة ، ودفعه إلى تشغيل عقله وذكائه بطريقة إيجابية بغية طرح أفكار بديلة، وتقديم تصورات وآراء ومقترحات غير مسبوقة، وتشجيعه على النقد البناء الهادف. وفي الوقت نفسه، يمكن الاستعانة أيضا بالسيكولوجيا السلوكية لتغيير سلوكيات المتعلم من الأسوأ نحو الأحسن والأفضل، أو مساعدته على تمثيل السلوك الإبداعي في حياته اليومية. وهنا، يمكن الحديث عن تقويم إبداعي يرصد ملكة الإبداع لدى المتعلم على المستوى المعرفي والذهني، أو على المستوى السلوكي، أو على مستوى المواقف والميول والاتجاهات النفسية والوجدانية والانفعالية، أو على المستوى الحسي- الحركي. أي: يرصد التقويم الإبداعي كل التحولات التي تنتاب المتعلم، ويستجلي كل مظاهر التحول والتغير والتجديد والتحديث لدى المتعلم على مستوى التفكير، واللغة، والعمل، والسلوك...

ومن هنا، فالبيداغوجيا الإبداعية - حسب لوبار (Lubart)- هي التي تظهر قدرة المتعلم على إنتاج إنشاء جديد، وفق سياق معين، أو وضعية ما<sup>5</sup>. وبالتالي، تسهم في خلق الفوارق الفردية الإيجابية.

وتتأسس الإبداعية التربوية على أربعة عوامل أساسية هي:

<sup>5</sup> - LUBART T., *Psychologie de la créativité* (2<sup>e</sup> éd.), Paris, Armand Colin, 2003, p:10.

① **العوامل المعرفية:** تتمثل في قدرة المتعلم على طرح أفكار جديدة، وتوظيف ملكته الكفائية بشكل إيجابي، والقدرة على التطبيق، والتحليل، والاستنتاج، والتقويم، والانتقاء، والمقارنة؛ أو القدرة على التفكير والتركيب؛ أو القدرة على الفهم والتفسير والتأويل؛

② **عوامل الإثارة:** تتعلق بنفرد شخصية المتعلم فكريا، ووجدانيا، وحسيا-حركيا؛ وتميزه عن أقرانه الآخرين بالذكاء والموهبة والخلق، وتفرده بآرائه وميوله ورغباته واتجاهاته النفسية؛ واستعمال أساليب متميزة في المعرفة والتحفيز؛

③ **العوامل الوجدانية:** تتعلق بالجوانب الشعورية والذاتية والانفعالية والعاطفية التي تحفز المتعلم على الإبداع والابتكار والتجديد والتميز معرفيا وعلميا وأدبيا وفنيا وتقنيا؛

④ **عوامل المحيط:** تسهم عوامل المحيط والوسط، كالأسرة، والشارع، والمدرسة، والجامعة... في تكوين الفرد المبدع من جميع النواحي النفسية والمعرفية والسلوكية، ونجاحه في الحياة الدراسية أو المهنية أو الإبداعية، إما بطريقة مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة<sup>6</sup>.

وتسعى البيداغوجيا الإبداعية إلى خلق فضاءات صفية دراسية ملائمة، تساعد المتعلم على تحقيق توازن نفسي ووجداني وانفعالي إيجابي بغية الخلق والإنشاء والإبداع والاكتشاف والابتكار. ولا ينبغي أن تكون المدرسة حجرة عثرة أمام تقدم المتعلم، أو تضع المتاريس أمامه لمنعه من التقدم أو النمو السيكولوجي والمعرفي، أو تعيقه عن الإبداع المدرسي، أو تمنعه من إظهار قدراته النمائية العادية أو الخارقة<sup>7</sup>.

<sup>6</sup> -LUBART T., *Psychologie de la créativité*, p: 31-84.

<sup>7</sup> - BANDURA A., *Auto-efficacité. Le sentiment d'efficacité personnelle* (P. Lecomte, trad.) (2<sup>e</sup> éd.), Bruxelles, De Boeck, 2007 (original publié en 1997).



وما يمكن للمدرسة الإبداعية أن تفعله هو أن تحد من الانفعالات الزائدة أو الطائشة لدى المتعلم، فتشجعه على إظهار العواطف والمشاعر الوجدانية الإيجابية المثمرة والهادفة والبناءة.

و تعتمد البيداغوجيا الإبداعية على تحليل النصوص و فهمها وتفسيرها وتأويلها، و القدرة على استنباط معانيها السطحية و الثاوية في العمق. وقد تتجاوز الإبداعية هذا المفهوم التحليلي النصي إلى تقديم تصورات فكرية نسقية جديدة حول الإنسان و المعرفة و الكون و القيم ، تضاف إلى الأفكار الفلسفية الموجودة في الساحة الثقافية. و يمكن أن تكون الإبداعية هي تجريب نظريات و فرضيات علمية جديدة، و الإدلاء بأطروحات منهجية و معرفية تسعف الإنسان أو الدولة في استثمارها للصالح العام.

و يمكن أن تكون الإبداعية في مجال الفن برسم لوحات تشكيلية، ونحت مشخصات تتم عن تصورات حديثة، أو إخراج فيلم أو مسلسل أو مسرحية فيها الكثير من الإضافات الفنية الجديدة. و من ثم، فالإبداعية نظرية تربوية ثورية سامية و متطلعة، تهدف إلى تربية التلميذ تربية إبداعية ومهارية وملكاتية، و تعويده على الخلق و الإنتاج و الإبداع و الابتكار و الاختراع والتجديد و التطوير و التركيب و التأليف ، بعد الابتداء بالحفظ وتقوية الذاكرة، والاستعانة بعمليات التدريب و التمرين و المحاكاة، و تمثل المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة، و تفتيقها أثناء مواجهة الوضعيات الجديدة في الواقع الميداني و النظري و الافتراضي.

ويمكن أن تكون الإبداعية التربوية فردية أو جماعية. وكلما كانت جماعية، وفي إطار فريق تربوي، كانت أحسن وأفضل؛ بسبب ما يترتب على ذلك من مردودية كمية وكيفية مثلى، وما لها من نتائج إيجابية ومثمرة ذات أثر فعال في نفسية كل عضو من أعضاء الفريق . ولكن لا بد من قائد يدبر أمر هذا الفريق، ويكون أكثر كفاءة وحماسة وتحفيزا ورغبة في الإبداع والابتكار والاكتشاف

## والإنتاج والخلق.

وقد تكون تلك الإبداعية التربوية أيضا شفوية أو كتابية أو بصرية. وقد تكون كذلك نظرية أو عملية، أو تكون ذهنية أو وجدانية أو حسية حركية. وتختلف هذه الإبداعية التربوية من مجال إلى آخر، فتكون إبداعية لغوية ولسانية، أو إبداعية أدبية، أو إبداعية فنية، أو إبداعية فلسفية، أو إبداعية علمية، أو إبداعية تقنية...

وتتكئ النظرية الإبداعية التربوية على مجموعة من الأسس والمرتكزات، و من أهمها : استقلالية شخصية المتعلم، والبحث عن الأفكار والتصورات والنظريات والآراء الجديدة، والسعي الدائم وراء التحديث والتجديد، و استعمال التكنولوجيا المعاصرة والثقافة الرقمية<sup>8</sup>، وتفادي التكرار والاجترار، و الابتعاد عن استنساخ ما هو موجود سلفا ، واستيعاب الثورات العلمية والبرديغمت ، والاستفادة من القطاعات التي تحدث على جميع المستويات المعرفية والإنتاجية، وتجنب أو هام الحداثة الشكلية والزائفة بالمفهوم الأدونيسي<sup>9</sup>، و اعتماد حداثة حقيقية وظيفية بناءة وهادفة، تنفع الإنسان في صيرورته التاريخية و الاجتماعية. و لن تتحقق هذه الحداثة إلا بالتعلم الذاتي، و تطبيق البيداغوجيا اللاتوجيهية أو المؤسساتية أو الملكاتية ، والاسترشاد بنظرية الذكاءات المتعددة، والاستعانة بالبيداغوجيا الفارقية، وتمثل تربية القيم والمواطنة وحقوق الإنسان، و ديمقراطية الدولة و كل مؤسساتها التابعة لها . و يعني هذا أن البيداغوجيا الإبداعية لن تنجح في الدول التي تحتكم إلى القوة والحديد، وتسن نظاما ديكتاتوريا مستبدا ؛ لأن الثقافة الإبداعية هي ثقافة تغييرية راديكالية ضد

<sup>8</sup> - Olivier Rey et Annie Feyfant : (VERS UNE ÉDUCATION PLUS INNOVANTE ET CRÉATIVE). **Dossier d'actualité.n70**, janvier 2012. <http://ife.ens-lyon.fr/vst/DA-Veille/70-janvier-2012.pdf>

<sup>9</sup> - أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1986م؛ والثابت والمتحول، الجزء الثالث، والجزء الرابع، دار الساقي، بيروت، لبنان، طبعة 2001م.

أنظمة التسلط و القهر والجور.

و لا يمكن الحديث أيضا عن النظرية الإبداعية إلا إذا كان هناك تشجيع كبير لفلسفة التخطيط و البناء والتدبير ، و إعادة البناء و الاختراع والاكتشاف ، و تطوير البحث العلمي، وتنمية القدرات الذاتية و المادية من أجل مواجهة كل التحديات.

و من الشروط التي تستوجبها النظرية الإبداعية الاحتكام الدائم إلى الجودة الحقيقية كما وكيفا حسب المقاييس العالمية؛ تلك التي الجودة لا يمكن الحصول عليها إلا بتخليق المتعلم و المواطن بصفة خاصة، و المجتمع بصفة عامة. و يعد الإتيان من الشروط الأساسية لما هو إبداعي؛ لأن الإسلام يحث على إتيان العمل، ويحرم الغش و الإثراء غير المشروع. ولا بد من ضبط النفس أثناء التجريب و الاختبار، و تنفيذ المشاريع العلمية و التقنية ، مع التروي في إبداعاتنا على جميع الأصعدة والمستويات و القطاعات الإنتاجية ، و الاشتغال في فريق تربوي متميز كفاءة ومهارة و حذقا وكياسة، و الانفتاح على المحيط العالمي قصد الاستفادة من تجارب الآخرين ، و المساهمة بدورنا في خدمة الإنسان كيفما كان. علاوة على ذلك، لا بد أن يكون التعليم الإبداعي منفتحا على محيطه، و في خدمة التنمية المحلية و الجهوية و الوطنية و القومية والإنسانية .

هذا، و ترفض النظرية الإبداعية التقليد المجاني و المحاكاة السائبة العمياء، و الاتكال على الآخرين، و استيراد كل ما هو جاهز ، و استبدال ذلك كله بالتخطيط العقلاني والمدبر، و إنتاج الأفكار و النظريات الناجعة والمثمرة، بالتفكير في الماضي والحاضر و المستقبل، و تمثل التوجهات البراغمية العملية المفيدة ، بشرط تخليقها لمصلحة الإنسان بصفة عامة .

و ينبغي أن ينصب الإبداع كذلك على ما هو أدبي، و فني، و فكري، و علمي، و تقني، و مهني، و صناعي، و إعلامي، في إطار نسق منسجم و متناسم و متكامل لتحقيق التنمية الحقيقية و التقدم و الازدهار النافع لوطننا و أمتنا.

و من المعلوم، أن الدول الغربية لم تتقدم إلا بتشجيع الحريات الخاصة والعامة، و إرساء الديمقراطية الحقيقية، و تشجيع العمل الهادف، و تحفيز العاملين ماديا و معنويا . و من ثم، تعد فكرة التشجيع و التحفيز، و تقديم المكافآت المادية و الرمزية، و الاعتداد بالكفاءة الحقيقية، من أهم مقومات هذه البيداغوجيا العملية الحقيقية، و من أهم أسس التربية المستقبلية القائمة على الاستكشاف و الاختراع و الابتكار.

أضف إلى ذلك أن الاقتصاد العالمي هو اقتصاد تنافسي بامتياز، يفرض على الشعوب أن تعنى بالتعليم من أجل تكوين الموارد البشرية المؤهلة، و توفير الأطر الكفأة، و تكوين العمال وفق أحدث الأنظمة التقنية المعاصرة. و يستوجب هذا كله أن يكون التعليم إبداعيا، يركز على الكيف، و التنوع، و تنمية الملكات و القدرات الإبداعية لدى المتعلم تعلمًا و تكوينًا و تطبيقًا.

و قد سعت مجموعة من الدول الغربية، بالخصوص، منذ سنوات الألفية الثالثة، إلى تمثل المقاربة الإبداعية في مجال التربية و التعليم و الديدكتيك لتجويد التعليمات لدى المتمدرس، و البحث عن الجديد، و مساعدته على الخلق و الإبداع و الابتكار، و مواجهة الوضعيات الصعبة و المعقدة، و تطوير الإبداع الذكائي، بجعل المتعلم أمام وضعيات سياقية خارجية شائكة للثبوت من مدى قدرته على التكيف و التأقلم و التمثل و الاستيعاب و التجديد و حل المشاكل.

و يعني هذا أن البيداغوجيا الإبداعية هي بيداغوجيا المركز، و الجودة، و التنافس، و الهيمنة، و التميز، و المرادودية، و التدبير، و التخطيط، و التسيير، و تحقيق الاكتفاء، و زيادة الإنتاج، و تصدير المنتج كما و كيفًا.

**⑤** كتابات الدكتور جميل حمداوي في مجال التربية و التعليم كثيرة و متنوعة (البحث التربوي مناهجه و تقنياته/ تدبير العملية التعليمية التعليمية/ التصورات التربوية الجديدة/ من قضايا التربية و التعليم/ من مستجدات التربية الحديثة و المعاصرة/ الكفايات و الجودة التربوية/

ديداكتيك الأنشطة التربوية في التعليم الأولي...) أمام هذا الزخم من الدراسات والأبحاث نتساءل ما أبرز الإضافات النوعية التي حملتها كتاباتك في المجال؟ و ما تقييم الدكتور جميل حمداوي للبحث التربوي في المغرب؟

تهدف كتاباتي التربوية إلى تزويد المتعلم أو المدرس بمجموعة من المعارف والمعلومات والتقنيات والمقاربات والمناهج لاستخدامها في مجال البحث التربوي، كما يبدو ذلك في كتابي (مناهج البحث التربوي). ثم إمداده بآليات الإحصاء الوصفي والاستنتاجي كما في كتابي (الإحصاء التربوي). ولم أكتف بما هو تعريفي فقط، بل قدمت بعض الاجتهادات كالتعريف بنظرية الملكات لدى محمد الدريج وتنزيلها في الواقع التربوي. ثم تقديم تصور تربوي جديد سميناه بالبيداغوجيا الإبداعية. ثم التعريف بالمرشد التربوي. فضلا عن تقديم تصور جديد حول القراءة المسرحية، والقراءة الوسائطية أو الميديولوجية. علاوة على مجموعة من الكتب الموجهة إلى أطر الإدارة التربوية والمدرسين المتدربين في مجالات مختلفة ومتنوعة. وما يلاحظ على البحث التربوي أنه نظري بامتياز، وليس تطبيقيا أو ميدانيا؛ لأن هذا يتطلب إمكانيات مادية ومالية وبشرية. ناهيك عن غياب التحفيزات المادية والمعنوية على مستوى المؤسسات المسؤولة عن قطاع التربية والتعليم. وفي المقابل، نشيد بما يقدمه الدكتور أحمد أوزي، والدكتور محمد الدريج، والدكتور مصطفى محسن، والدكتور عبد الواحد الفقيهي، والدكتور عبد الكريم غريب، وغيرهم... فقد بذلوا جهودا جبارة لتطوير البحث التربوي بالمغرب، كل واحد في مجاله.

⑥ يلاحظ المواكب لما يكتبه الدكتور جميل حمداوي افتتانا واضحا بالسيميوطيقا (سيميوطيقا التلطف/ سيميوطيقا الصورة/ سيميوطيقا العوالم الممكنة/ سيميوطيقا الثقافة/ السيميوطيقا بين النظرية والتطبيق/ سيميوطيقا الذات/ سيميوطيقا التوتر..) فما سر هذا الافتتان؟ وهل يرتاح الدكتور جميل حمداوي لاختيار نظري ومنهجي محدد في مجال النقد؟

صحيح، أنا مفتتن بالسيميوطيقا إلى درجة العشق. فالعصر الذي نعيش فيه هو عصر العلامات والرموز والإشارات والأيقونات، كما قال رولان بارت (R.Barthes) في حديثه عن إمبراطورية العلامات التي يقصد بها اليابان التي تعتمد كثيرا على منطق العلامات. ومن هنا، فقد دعوت إلى مسرح سيميائي في مجال الدراما الركحية. وجربت مجموعة من المقاربات والتصورات السيميوطيقية في كتيبي. وبالتالي، فقد عرفت القارئ العربي بسيميوطيقا التوتر، لأول مرة، في الساحة الثقافية العربية.

وأبوح لكم سرا فقد كنت جاهلا بآليات السيميائيات واللسانيات حتى دعوت الله في سجودي أن يعرفني بأسرار هذين العلمين، وقد استجاب الله لي مشكورا. وبعد مدة، ألفت نفسي أنهل من المراجع الأجنبية، وأستفيد من السيميائيين المغاربة والعرب، أمثال: سعيد بنكراد، ومحمد الداوي، وعبد المجيد النوسي، وعبد الحميد بورايو، والسعيد بوطاجين، ومحمد مفتاح، وحنون مبارك، وأنور المرتجي، وسمير المرزوقي، وجميل شاكور، وموريس أبو ناضر، وسعيد يقطين، ومصطفى الشاذلي، وعبد الفتاح كليطو، والطائع الحداوي، وعبد اللطيف محفوظ، وعبد الرحيم جيران، ومحمد البكري، وغيرهم كثير...

ولكن أفضل تنويع مقارباتي ومنهجياتي في القراءة والوصف والتحليل والتقويم، فأنقل، كالفراشة التي تبحث عن رحيقها، من مقاربة إلى أخرى؛ أنتقل من المقاربة الميكروسردية إلى السيميوطيقا، وأنتقل من المقاربة الكوسمولوجية إلى المقاربة الميديولوجية أو الوسائطية. وأنطلق أيضا من المقاربة اللسانية إلى المقاربة التلفظية، وهكذا دواليك...

**⑦ يسجل الكثير من المهتمين بمجال النقد الأدبي اتساع الفجوة بين النقد والملتقى، فما سر هذا الجفاء؟ هل العطب في تحول الوظيفة أم في الاختيارات المنهجية أم في شيء آخر؟**

تعود المشكلة في ذلك إلى الكتابة التي يستخدمها النقاد في وصف النصوص، وميلهم إلى التعقيد والإبهام والغموض، ولاسيما في أثناء انطلاقهم من المقاربة السيميوطيقية، أو أية مقاربة نقدية حديثة أخرى، ولاسيما اللسانية والتداولية

والحجاجية منها، فنجد هؤلاء النقاد المنتطعين يترجمون النظريات النقدية الغربية، دون أن يكيّفوها مع خصائص اللغة العربية؛ مما يؤدي ذلك إلى نفور القارئ، وابتعاده عن الدراسات السيميائية واللسانية المعاصرة، ويكتفي بما هو واضح وبسيط وسهل. وأستثني من هذا ما يكتبه محمد مفتاح وعبد الفتاح كليطو على سبيل الخصوص.

## ⑧ كثيرا ما يلجأ الدكتور جميل حمداوي إلى النشر الإلكتروني، لماذا هذا الاختيار؟ وهل يمثل سبيلا لتجاوز أزمة النشر والتوزيع بالوطن العربي وبالمغرب على وجه الخصوص؟

هذا سؤال رائع ووجيه ومهم. فالكتاب المغربي يعرف صعوبات على مستوى الطبع والنشر والتوزيع. لذا، فمساحة النشر ضيقة جدا مرتبطة بالمساحة الوطنية. لذا، لا بد من تسويق الكتاب خارج الحدود المغربية من أجل تحقيق الانتشار، وفتح مجال الحوار والتواصل، وتبادل المعارف بين أشقائنا العرب، مع السعي الجاد إلى اختراق هذه المساحة العربية نحو ما هو عالمي وكوني. ومن هنا، فقد اعتمدت - شخصيا - على سياسة مزدوجة تعتمد على النشر الورقي من جهة، والنشر الإلكتروني من جهة أخرى. والسبب في ذلك هو تحقيق الانتشار العربي، وإثبات الذات معرفيا وعلميا، وتعريف المتلقي العربي بالكتابات المغربية. ولم يتحقق هذا الهدف إلا بتقديم كتيبي ومقالاتي ودراساتي مجانا لتحميلها من قبل القراء العرب؛ لأن الحياة لن تعطيك شيئا حتى تعطيها ما لديك من علم يستفيد منه الآخرون.

وفي الحقيقة، كان اهتمامي بشؤون الوطن والأمة على حساب أسرتي الصغيرة والكبيرة. ويعني هذا أنني أعطيت للآخرين أكثر مما أعطيته لنفسني وأسرتي. فكان همي أن أؤدي الرسالة بكل ما أوتيت من قوة وجهد وإخلاص. وأعترف أنني كنت أرتكب كثيرا من الأخطاء والهفوات في ما أكتبه. لأنني كنت متيقنا أن الذي يكتب الكثير يخطئ كثيرا، وأن الإنسان يتعلم من الأخطاء.

وقد تلقيت، في هذا الصدد، انتقادات كثيرة منذ التسعينيات من القرن الماضي إلى يومنا هذا؛ إذ كانوا يعيبون علي موسوعيي وسطحيي وسذاجتي، والانتقال من مجال إلى آخر. بل هناك من منعني من الخوض في مجال المسرح ربما لأنني لم أكن حاصلا على دكتوراه في المسرح، أو لأسباب أخرى

أفهم البعض منها، وأجهل الأخرى. ومنعني أهل السينما في بلدي من الخوض في هذا المجال، بعد أن سيجوه بجدران إسمنتية صلبة في وجه الآخرين . ومنعني كذلك نقاد السعودية من الخوض في أدبهم على أساس أنني مغربي، وهاجموني هجوما شرسا. لكنني صبرت وتجلدت وفرضت نفسي بشكل إيجابي إلى يومنا هذا. وعليه، لا يمكن للباحث أن يثبت ذاته إلا بالجمع بين النشرين الورقي والإلكتروني، ومجايلة الشباب والكتاب والقراء الصاعدين ، وتفهم رغباتهم وميولهم واتجاهاتهم الذهنية والنفسية والاجتماعية لتحقيق نوع من التواصل الفعال والهادف والبناء.

## ⑨ هل يوفر النشر الرقمي نسبة مقروئية أكبر مقارنة بالنشر الورقي؟

نعم، هذا صحيح. فالنشر الإلكتروني يسهل على الآخرين عملية الاطلاع على كتبي ودراساتي وأبحاثي بسرعة مقارنة بما هو ورقي الذي ينحصر فيما هو محلي، وجهوي، ووطني، ولايتعدى ذلك إلى ما هو خارج الوطن. ومن ثم، فكتاباتي ، الآن ، معروفة في معظم الدول العربية والإسلامية. بل تعتمد مقررات في كثير من الجامعات والكليات والمعاهد هنا وهناك.

## ⑩ كيف يرى الدكتور جميل حمداوي مستقبل الأدب الرقمي؟

أحدثت الإعلاميات ثورة إبستمولوجية من خلال الانتقال من براديجم الشفوية والكتابة إلى ما هو رقمي ووسائطي. وبالتالي، سيكون مستقبل الأدب مرتبطا بما هو وسائطي وتقني وإعلامي. ويعني هذا أن الكتابة الورقية ستندثر مستقبلا بشكل تدريجي ، وستتسع الفضاءات الرقمية والإلكترونية. ومن ثم، سيزدهر الأدب الرقمي، بكل أجناسه وأنواعه وأنماطه وفنونه، وستظهر مقاربات منهجية جديدة لتحليل النصوص والمنتج الإعلامي. وستتنوع القراءات حسب طبيعة المنتج الرقمي. لذا، فقد تحدثت ، في كتابي (الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق)، عن المقاربة الميدولوجية أو الوسائطية في مقاربة النصوص الإلكترونية والرقمية بغية التفاعل مع النصوص التي يكتبها الفيسبوكيون، أو متصفحوا الإنترنت. ومازلنا متأخرين في هذا المجال مقارنة بالغرب الذي قطع



أشواطاً مهمة وحثيثة منذ عقود عدة.

**11- يبدو أن اهتمامك بالقصة القصيرة جداً نقداً و تنظيراً أقوى من اهتمامك بها إبداعاً، إذ لم نقرأ لك على حد علمي إلا مجموعة واحدة (كتابات ساخرة)، فما سر اهتمامك البارز بالقصة القصيرة جداً؟**

أنا أميل إلى النقد أكثر من ميلي إلى الإبداع، فقد كتبت النصوص الشعرية العمودية والتفعيلية، وكتبت المسرح، وكتبت القصة القصيرة جداً، وكتبت شعر الأطفال، و حصل ديواني الشعري المخصص للأطفال (يحيا السلام) على جائزة رابطة الأدب الإسلامي بوجدة. فالناقد دائماً مبدع فاشل. لذا، اكتفيت بالدراسة والبحث والتنقيب المعرفي، وأكتب الإبداع من حين لآخر من باب الهواية والتجريب والاطلاع ليس إلا.

**12 - لماذا، في نظرك، لم تنتزع القصة القصيرة جداً لحد الآن صك الاعتراف بالوجود والاستواء من طرف الجامعة؟ فهل هو موقف أكاديمي من النوع؟ وكيف ترى إمكانية التحول في الموقف؟**

تعد القصة القصيرة جداً جنس المستقبل، وسيكون لها الهيمنة في الأجل القريب. والدليل على ذلك الكم الهائل من المجموعات والأصمومات القصصية في هذا النوع من الكتابة. وثمة كثير من الرسائل والأطاريح الجامعية في كثير من الجامعات العربية والمغربية تؤرخ لهذا الجنس، وتدرسه وفق مكوناتها وسماتها الفنية والجمالية والدلالية. لكن هذا الجنس مازال لم يستو عند كثير من أساتذة الجامعات بسبب عدم الاطلاع، أو التشدد في عدم الاعتراف بما هو جديد. ويشبه هذا الموقف المواقف نفسها التي مال إليها الباحثون والنقاد من شعر التفعيلة والقصيدة النثرية من قبل.

لكن سيزول هذا التشدد مع مرور الوقت، وكثرة الإنتاج كما وكيفا، وإعداد الأبحاث والرسائل والأطاريح الجامعية في هذا المجال. ويعني هذا أنها قضية وقت ليس إلا.

13- من الملتقيات التي أضحى لها موقعها ومكانتها ضمن خريطة الملتقيات الأدبية الوطنية والعربية، مهرجان القصة القصيرة جدا الذي تحتضنه مدينة الناظور بالشمال الشرقي للمغرب، لماذا يتم تخصيص مهرجان دولي للقصة القصيرة جدا؟ وما مدى ما حققه لحد الآن من إشعاع؟ وما انعكاساته على الإبداع في القصة القصيرة جدا؟

يعتبر مهرجان القصة القصيرة جدا بالناظور ثاني مهرجان عربي يحتفي بهذا الجنس بعد مهرجان حلب.و يعد المغرب الحاضن الأول لهذا الجنس تنظيرا وإبداعا ونقدا وإشرافا وتوجيها. وقد أظهر المغاربة قدراتهم الإبداعية في هذا المجال كما وكيفا ورؤية. ومن ثم، فقد جمع هذا المهرجان المبدعين والنقاد والمعجبين بالقصة القصيرة جدا.فضلا عن تنظيم ورشات كثيرة للتلاميذ والطلبة والمبدعين المبتدئين في هذا المجال.ثم عرض جميع المنتجات في القصة القصيرة جدا إبداعا ونقدا ونظرية ، مع تحليلها وتوصيفها وتقويمها شكلا ومضمونا ووظيفة.

وقد حقق المهرجان نتائج رائعة على الصعيدين الوطني والعربي، كالتعريف بهذا الجنس، ونشره بين الناس، وتكوين ناشئة مبدعة وناقدة تهتم بهذا الجنس، ثم تأسيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا بمدينة الناظور التي أصبحت عاصمة لهذا الفن الجديد. فضلا عن كون هذه القصص جنسا أدبيا فتيا أعدت فيها رسائل وأطاريح جامعية كثيرة. وأصبح الحديث - اليوم- عن قصة أمازيغية قصيرة جدا، وكان المغرب سباقا إلى ذلك، بفضل هذا المهرجان العتيد الذي نظم ست دورات متتابعة.

**شكرا للدكتور جميل حمداوي نبلة وأريحيته.**